الجنة ونعيمها في الإسلام وعند أهل الكتاب
- دراسة عقدية -

دكتورة / مريم بنت علي الحوشاني
أستاذ العقيدة والمذاهب والأديان المشارك
كلية الآداب- قسم الدراسات الإسلامية
جامعة الأميرة نوره بنت عبد الرحمن

مقدمة:

الحمد لله الذي جعل جنة الفردوس لعباده المؤمنين نزلاً، وكمّل لهم البشرى بكونهم خالدين فيها لا يبغون عنها حولا. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة من لا غنى به عن فضله ورحمته، ولا مطمع له في الفوز بالجنة والنجاة من النار إلا بعفوه ومغفرته، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وأمينه على وحيه وخيرته من خلقه، أرسله رحمة للعالمين، وقدوة للعاملين، ومحجة للسالكين، وحجة على العباد أجمعين، بعثه للأيمان مناديا وإلى دار السلام داعياً. فصلاة ربي وسلامه عليه إلى يوم الدين، أما بعد :

فإنه من المعلوم أن من أعظم القربات إلى الله عز وجل بيان مسائل هذا الدين العظيم، وما يتميز به عن غيره من الأديان الأخرى في جميع جوانبه العقدية والشرعية والأخلاقية، ومسألة نعيم الجنة من المسائل الثابتة بالقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وإجماع المسلمين، وهي معلومة بالاضطرار من دين الإسلام .

والجنة وما فيها من نعيم مما أجمع الرسل على بيانه لأقوامهم، وأنكرت اليهود والنصارى حقيقة نعيم الجنة وزعموا أن الجنة ليس فيها أكل ولا شرب ولا نكاح ولا شيء من المتع الحسية، وإنما المتعة تكون برؤية الله فقط. وإنكارهم هذا يعود إلى أنهم يرون أن الأجساد يوم القيامة ستكون أجساداً روحانية لا تحتاج إلى الطعام والشراب، وليس فيها شهوة الجماع ، ولا فرق فيها بين جسد المرأة وجسد الرجل .بل جعلوا إثبات ذلك شبهة يطعنون فيها على الإسلام، وظهر في هذا العصر من المسلمين من تلقف هذه الشبهات والطعون وجعل من نفسه بوقا لترددها حيث كتب أحدهم في مقال له

بعنوان (الجنة منزّهة عن الجنس): (الجنة لا جنس فيها ، ... فالله سبحانه وتعالى يعلم أن عقول البشر لا تدرك ما في الجنة من متع ونعم ، فقربها إليهم بأن ذكر فيها الحور العين ، وأن فيها الخمر واللبن والفاكهة ، فالله عز وجل لم يقل إلا الحق، فهناك خمر ليست كخمر الدنيا ، وطعام ليس كطعام الدنيا ، بل متع معنوية ، تتصاغر أمامها المتع الحسية ..... ". وفي هذا البحث المعنون بـ (حقيقة نعيم الجنة في الإسلام وعند أهل الأديان–اليهود والنصارى) أتناول بإذن الله هذه المسألة بعرض أدلتها، ومناقشة شبة المنكرين لها، والرد عليهم سائلة الله عز وجل التوفيق والسداد .

- **أهمية الموضوع وأسباب الاختيار:**

١) حاجة الناس في مثل هذا الزمن الذي كثرت فيه الفتن وكثر فيه المتكلمون بغير علم إلى مثل هذه الدراسات المتخصصة التي يُرجع فيها إلى نصوص الكتاب والسنة وأقوال أئمة الأمة .

٢) ترجع أهمية ذلك إلى أن الإيمان بنعيم الجنة داخل في الإيمان باليوم الآخر وهو ركن من أكان الإيمان كما في حديث جبريل المشهور.

٣) ارتباط الإيمان بنعيم الجنة بالإيمان بالغيب وهو صفة المتقين كما قال تعالى: ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ *الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ [البقرة :١-٢].

٤) هذه المسألة من أشرف مسائل أصول الدين وأجلها ، وهي الغاية التي شمر إليها المشمرون، وتنافس المتنافسون قال تعالى : ﴿ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴾ [المطففين : ٢٦].

٥) أن الإيمان بالجنة والنار بصفة خاصة له أثره البالغ في اعتقاد الشخص وتصوره وفي تصرفاته وأخلاقه ومعاملاته، فالذي يوقن جازما أن الله تعالى مجازيه على طاعته وحسن عبادته بجنة فيها من النعيم المقيم الأبدي ما لاعين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. لا شك أن ذلك ينعكس على عبادته فيعتني بها حتى يتقنها على أكمل وجه وعلى أخلاقه فيحسنها ويبعد بها عن كل ما نهى الله عنه، وعلى معاملته لكل من حوله وما حوله وبالتالي فهو يعمل لكل ما يقربه من دخول الجنة .

- **أهداف البحث:**

١) تجلية هذا الموضوع , وبيان عظيم شأنه في كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم, والمنهج الحق فيه.
٢) عرض أدلة ذلك من الكتاب والسنة وكتب أهل الأديان (اليهود والنصارى).
٣) عرض الأدلة العقلية لهذه المسألة ومناقشة شبه المنكرين لها وتفنيدها.

- **الدراسات السابقة:**

من خلال تتبعي لما كُتب حول هذا الموضوع وبرغم أهمية هذه المسألة إلا أني لم أجد من أفردها بالتصنيف ، ويمكن إجمال أهم المؤلفات المتعلقة ببعض جوانب الموضوع بما يلي :

١- كتاب صفة الجنة للحافظ ضياء الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الواحد الحنبلي المقدسي جمع فيه مؤلفه نصوص السنة الواردة في صفة الجنة دون شرح أو تعليق .

٢-كتاب بعنوان نعيم الجنة وعذاب النار في القرآن والسنَّة جمع وإعداد الباحث علي بن نايف الشحود جمع فيه جلَّ ما ورد في نعيم الجنة من القرآن والسنَّة، وقام بشرح الآيات القرآنية وغريب الحديث بشكل مختصر ، وعلق على بعض ما يلزم .

٣- كتاب حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح ، لابن قيم الجوزية ، ساق المؤلف كتابه هذا في صفات الجنة ونعيمها وصفات أهلها وساكنيها مستنداً في كل ما يذكره إلى الأحاديث المرفوعة، والآثار الموقوفة، وعرض لكثير من مسائل الخلاف المتعلقة بذلك ولم يذكر المسألة موضوع البحث .

٤- الإعلام بما في دين النصارى من المفاسد والأوهام واجتهار محاسن دين الإسلام للقرطبي ، ألفه في الرد على كتاب (تثليث الوحدانية) ، وعرض فيه لمسائل عقدية شتى، وأشار إشارة موجزة للمسألة موضوع البحث دون عرض أدلة ذلك من الكتاب والسنة.

٥-الجنة والنار ،لعمر سليمان الأشقر ، ساق المؤلف كتابه هذا في صفات الجنة ونعيمها، وذكر كثيراً من مسائل الخلاف المتعلقة بذلك ولم يذكر المسألة موضوع البحث.

خطة البحث المقترحة:

يشتمل البحث على مقدمة وتمهيد ومبحثين ، أتناول في تمهيده تعريف الجنـــة ومـــسألة كونها مخلوقة ،ومكانها .

وأما بالنسبة للمباحث فهي على النحو الآتي :

المبحث الأول : الأدلة النقلية على حقيقة نعيم الجنة .

واشتمل على مطلبين :

المطلب الأول : الأدلة من القرآن والسنة .

المطلب الثاني : الأدلة من كتب اليهود والنصارى .

المبحث الثاني : الأدلة العقلية على حقيقة نعيم الجنة واشتمل على مطلبين :

المطلب الأول : الأدلة العقلية على حقيقة نعيم الجنة .

المطلب الثاني :عرض شبه منكري حقيقة نعيم الجنة والرد عليها .

الخاتمة : واشتملت على أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث .

منهج البحث:

سلكت في هذا البحث المنهج الاستقرائي التحليلي المقارن، وسأسلك في طريقة التوثيق وكتابة البحث المنهج المتبع بإعداد البحوث العلمية، وذلك كما يلي:

(أ) عزْو الآيات إلى سورها، بذكر السورة، ورقم الآية.

(ب) تخريج الأحاديث النبوية في البحث، وذلك بعزوها لمصادرها: إنْ كانت في الصحيحين أو أحدهما، اكتفيت بذلك، وإلا اجتهدت في تخريجها من مصادرها، والحكم عليها من خلال كلام الأئمة.

(جـــ) توثيق النقول المقتبسة بعزوها إلى مصادرها.

(د) عرض المسائل وبيانها باستعراض كلام أهل العلم وأقوالهم .

أسأل الله عز وجل القبول والإخلاص في العمل إنه ولي ذلك والقادر عليه ، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

التمهيد

المسألة الأولى :تعريف الجنة:-

الجنة لغة :-

هي البستان الكثير الأشجار المتكاتف المظلل بالتفاف أغصانه؛ واشتقاقه من الاستتار والاختفاء؛ ومنه سمي الجنين جنيناً لاستتاره عن الأعين في بطن أمه، كما قال تعالى :- ﴿ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ ﴾ [النجم :٣٢]، ومنه الجن لاستتارهم عن الأعين، والمجنون لأنه مستور العقل، وسُميت الجنة بهذا الاسم لكثرة أشجارها فهي تستر ما بداخلها من كثرة أشجارها[١].وقال الراغب الأصفهاني:« وسميت الجنة إما تشبيهاً بالجنة في الأرض وإن كان بينهما بون.وإما لستره نعَمها عنا المشارَ إليها بقوله – تعالى –:﴿فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةَ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[السجدة: ١٧]»[٢].

الجنة في الشرع:

هو الاسم العام المتناول لتلك الدار وما اشتملت عليه من أنواع النعيم واللذة التي أعدها الله جل وعلا لعباده المؤمنين في الآخرة، مما "ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر"[٣] [٤] .

المسألة الثانية :كون الجنة مخلوقة .

اتفق أهل السنة والجماعة على أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن، لا يشك في ذلك أحد منهم؛ لتواتر الأدلة الدالة على ذلك من الكتاب والسنة. ومنها؛ قوله تعالى عن الجنة: ﴿ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، وقوله جل شأنه: ﴿أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ﴾ [الحديد: ٢١]، ﴿أُعِدَّتْ﴾ فعل ماض مبني للمجهول، ولم يذكر

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، كتاب الجيم مادة (جنّ) (٤٢١/١). لسان العرب، لابن منظور، فصل الجيم مادة (جنن) (٩٢/١٣).

(٢) المفردات في غريب القرآن، كتاب الجيم مادة (جن) (ص٢٠٤).

(٣) جزء من حديث أخرجه البخاري في صحيحه كتاب بدء الخلق –باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة– برقم(٣٢٤٤) (١١٨/٤).

(٤) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، لابن قيم الجوزية، (ص٩٤).

الفاعل الذي أَعد الجنة لأنه معلوم لكل ذي عقل أنه لا يقدر على إعدادها إلا الله –سبحانه– وكونها أعدت في الماضي يدل على وجودها الآن.

وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى عندَ سدْرَة الْمُنْتَهَى عندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾ [النجم: ١٣– ١٥]. وقد رأى النبي ﷺليلة عرج به إلى السماء سدرة المنتهى، ورأى عندها جنة المأوى. كما جاء في حديث أنس رضي الله عنه، في قصة الإسراء، وفي آخره: " ثم انطلق بي جبرائيل، حتى أتى سدرة المنتهى، فغشيها ألوان لا أدري ما هي، قال: ثم دخلت الجنة، فإذا هي جنابذ اللؤلؤ، وإذا ترابها المسك"(١). فكون النبي ﷺ رآها فهذا يدل على أنها موجودة الآن ومخلوقة .

وفي صحيح البخاري من حديث أنس بن مالك : عن النبي ﷺ قال :" بينما أنا أسير في الجنة إذا أنا بنهر حافتاه قباب الدر المجوف قلت ما هذا يا جبريل ؟ قال هذا الكوثر الذي أعطاك ربك؛ فإذا طينه أو طيبه مسك أذفر "(٢). فمسير النبي ﷺ فيها دليل على وجودها .

وفي الموطأ من حديث كعب بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ"إنما نسمة المؤمن طير يَعْلَقُ في الجنة، حتى يرجعه الله إلى جسده يوم القيامة"(٣) . وهذا صريح في دخول الروح الجنة قبل يوم القيامة، وهو أيضاً دليل على وجودها.

ونظائر ذلك في السنة كثير وقد عقد البخاري في (صحيحه) باباً قال فيه: باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة. وساق في هذا الباب أحاديث كثيرة تدل على أن الجنة مخلوقة، منها؛ الحديث الذي ينص على أن الله يُري الميت عندما يوضع في قبره مقعده من الجنة والنار(٤). وحديث اطلاع الرسول ﷺعلى الجنة والنار(٥). وغير ذلك من الأحاديث .

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الصلاة –باب كيف فرضت الصلوات في الإسلام– برقم (٣٤٢)(١/١٣٥).ومسلم في صحيحه كتاب الإيمان –باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات وفرض الصلوات – برقم(٤٣٣)(١/١٠٢).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق –باب في الحوض– برقم (٦٥٨١)(٨/ ١٢٠).

(٣) أخرجه مالك في كتاب الجنائز –باب جامع الجنائز – برقم(٨٢٠)(٢/٣٣٦) .

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق –باب صفة الجنة والنار– برقم (٦٥٦٩)(٨/١١٧).

(٥) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق –باب صفة الجنة والنار– برقم (٦٥٦٩)(٨/١١٧).

قال الطحاوي: « ولم يزل على ذلك أهل السنة، حتى نبغت نابغة من المعتزلة والقدرية، فأنكرت ذلك، وقالت: بل ينشئهما الله يوم القيامة، وحملهم على ذلك أصلهم الفاسد الذي وضعوا به شريعة لما يفعله الله، وأنه ينبغي أن يفعل كذا، ولا ينبغي له أن يفعل كذا، وقاسوه على خلقه في أفعالهم، فهم مشبهة في الأفعال، ودخل التجهم فيهم، فصاروا مع ذلك معطلة وقالوا : خلق الجنة قبل الجزاء عبث! لأنها تصير معطلة مددا متطاولة، فردوا من النصوص ما خالف هذه الشريعة الباطلة التي وضعوها للرب تعالى، وحرفوا النصوص عن مواضعها»(١).

وقال الفخر الرازي–عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّه وَرُسُلِه ﴾ «وفيه مسائل :

المسألة الأولى: احتج جمهور الأصحاب بهذا على أن الجنة مخلوقة، وقالت المعتزلة هذه الآية : لا يمكن إجراؤها على ظاهرها لوجهين : الأول : أن قوله تعالى : ﴿أُكُلُهَا دَائِمٌ ﴾ [الرعد : ٣٥] يدل على أن من صفتها بعد وجودها أن لا تفنى، لكنها لو كانت الآن موجودة لفنيت بدليل قوله تعالى: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ ﴾ [القصص : ٨٨] الثاني : أن الجنة مخلوقة وهي الآن في السماء السابعة، ولا يجوز مع أنها في واحدة منها أن يكون عرضها كعرض كل السموات، قالوا : فثبت بهذين الوجهين أنه لا بد من التأويل ، وذلك من وجهين : الأول : أنه تعالى لما كان قادراً لا يصح المنع عليه، وكان حكيماً لا يصح الخلف في وعده، ثم إنه تعالى وعد على الطاعة بالجنة، فكانت الجنة كالمعدة المهيأة لهم تشبيهاً لما سيقع قطعاً بالواقع، وقد يقول المرء لصاحبه:

(أعدت لك المكافأة) إذا عزم عليها، وإن لم يوجدها، والثاني: أن المراد إذا كانت الآخرة أعدها الله تعالى لهم كقوله تعالى:﴿ وَنَادَى أَصْحَابُ النَّار أَصْحَابَ الْجَنَّة ﴾ أي إذا كان يوم القيامة نادى .الجواب: أن قوله :

﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ﴾ عام ، وقوله :﴿ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ مع قوله : ﴿ أُكُلُهَا دَائِمٌ ﴾ خاص ، والخاص مقدم على العام»(٢).

(١) شرح العقيدة الطحاوية، للطحاوي (٤٢٠).

(٢) مفاتيح الغيب(٢٩/ ٤٦٥).

المسألة الثالثة :مكان الجنة .

اختلف العلماء في مكان الجنة على عدة أقوال ليس هذا البحث مجالاً لمناقشتها[١].

والصحيح المعتمد أن الجنة فوق السماء السابعة وسقفها العرش،ومن الأدلة على ذلك:

١-قوله تعالى :﴿ وَفِي السَّمَاء رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ [الذاريات: : ٢٢].

قال الطبري: «حدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد﴿ وَفِي السَّمَاء رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ يقول: الجنة في السماء، وما توعدون من خير أو شرّ»[٢].

وقال الشوكاني -بعد أن ساق أقوالاً للمفسرين في معناها : «والأولى الحمل على ما هو أعم من هذه الأقوال؛ فإن جزاء الأعمال مكتوب في السماء، والقضاء والقدر ينزل منها، والجنة والنار فيها »[٣].

٢- قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى * عندَ سدْرَةِ الْمُنْتَهَى ﴾[النجم: ١٣-١٤].

روى مسلم في صحيحه من حديث أنس عن النبي ﷺفي قصة الإسراء والمعراج :" لما بلغ السماء السابعة قال : فإذا أنا بإبراهيم مسندًا ظهره إلى البيت المعمور، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه. ثم ذهب بي إلى سدرة المنتهى، فإذا ورقها كآذان الفيلة وإذا ثمارها كالقلال، فلما غشيها من أمر الله ما غشي تغيرت. فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها. وأوحى إلي ما أوحى، ففرض علي خمسين صلاة كل يوم وليلة "[٤].

فثبت بهذا الحديث أن سدرة المنتهى فوق السماء السابعة، وعليه فالجنة فوق السماء السابعة وتحت عرش الرحمن ،كما دل عليه هذا الحديث.

قال ابن القيم : «وقد ثبت أن سدرة المنتهى فوق السماء؛ وسميت بذلك لأنها ينتهي إليها ما ينزل من عند الله، فيقبض منها وما يصعد إليه فيقبض منها وقال تعالى: ﴿وَفِي

---

(١) راجع أقوالهم في الجامع لأحكام القرآن للقرطبي(١٧/٩٥-٩٦)، لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية، محمد السفاريني الحنبلي (٢/ ٢٣٧-٢٣٨). التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار، لا بن رجب(ص٦٢-٦٣).

(٢) جامع البيان (٢٢/٤٢١- ٤٢٢).

(٣) فتح القدير (٥/١٠٢).

(٤) كتاب الإيمان -باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات، وفرض الصلوات- برقم (١٦٢) (١/١٤٥).

السَّمَاء رزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾. قال ابن أبي نجيح عن مجاهد: هو الجنة .وكذلك تلقاه الناس عنه. وقد ذكر ابن المنذر في تفسيره وغيره أيضا عن مجاهد قال: هو الجنة والنار »[1] .

٣- قوله تعالى :﴿ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴾ [المطففين : ١٨].

قال ابن كثير: «قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله: ﴿ كَلا إِنَّ كِتَابَ الأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴾ يعني: الجنة. وقال غيره: عليون عند سدرة المنتهى»[2].

هذه الخلاصة فيما يتعلق بمسألة مكان الجنة مع أنه ينبغي التنبيه على أننا غير متعبدين بمعرفة مكان الجنة، ولكن إتماما للفائدة ولشمولية البحث عرضنا لها.

المبحث الأول : الأدلة النقلية على حقيقة نعيم الجنة.

إن نعيم الآخرة يشمل الروح والجسد معاً، وهذا هو الأصل وعليه مذهب السلف والخلف من الصحابة والتابعين وكل العلماء في مختلف العصور والأمصار، وكل من يعتد برأيه، وقد استفاضت الأدلة وتنادت وتعاضدت وأخذت بأعناق بعضها، فأثبتت ذلك؛ فالقرآن والسنة مليئان بالأدلة التي تبين أن نعيم الجنة يشمل الروح والجسد، والآيات التي تتحدث عن أكل أهل الجنة، وشربهم، وزواجهم، ولبسهم ،..وغيرها كثيرة جداً[3].

وقد أثبت شيخ الإسلام ابن تيمية أن النعيم في الآخرة مادي ومعنوي حيث قال: والمسلمون أثبتوا جميع أنواع اللذات، سمعاً، وبصراً، وشماً، وذوقاً، ولمساً، للروح والبدن جميعاً، وكان هذا هو الكمال[4] .

وفي المبحث التالي عرض لأدلة ذلك من القرآن الكريم، والسنة الشريفة، وكتب اليهود والنصارى.

المطلب الأول : الأدلة من القرآن والسنة :

إن دخول الجنة هو الفوز الكبير، والنجاة العظمى قال تعالى:﴿ كُلُّ نَفْس ذَآئِقَةُ الْمَوْت وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾

(١) حادي الأرواح (٦٥).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٣٤٨/٨).

(٣) انظر: الغاية –مباحث علمية ودراسات حديثية حول الجنة– ، لعدلان بن ساري العنزي(٢٢٣).

(٤) مجموع الفتاوى(١٤/ ١٦٣).

[آل عمران:١٨٥]، وقال: ﴿وَعَدَ اللّهُ الْمُؤْمنينَ وَالْمُؤْمنَات جَنات تَجْري من تَحْتهَا الأَنْهَارُ خَالدينَ فيهَا وَمَسَاكنَ طَيِّبَةً في جَنات عَدْن وَرضْوَانٌ مِّنَ اللّه أَكْبَرُ ذَلكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظيمُ﴾ [التوبة:٧٢]، وقال أيضا:﴿ تلْكَ حُدُودُ اللّه وَمَن يُطع اللّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخلْهُ جَنات تَجْري من تَحْتهَا الأَنْهَارُ خَالدينَ فيهَا وَذَلكَ الْفَوْزُ الْعَظيمُ﴾ [النساء:١٣]

فالجنة هي الثواب الجزيل، الذي أعده الله لأوليائه وأهل طاعته، وهي نعيم كامل لا يشوبه نقص، ولا يعكر صفوه كد، وما حدثنا الله به عنها، وما أخبرنا به الرسول – ﷺ يحير العقل ويذهله، لأن تصور عظمة ذلك النعيم يعجز العقل عن إدراكه واستيعابه. استمع إلى قوله تبارك وتعالى في الحديث القدسي : "أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر" . ثم قال الرسول ﷺ: "فاقرءوا إن شئتم ﴿فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخْفيَ لَهُم مِّن قُرَّة أَعْيُن جَزَاء بمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾"[(١)][السجدة:١٧]. وتنكير﴿نَفْسٌ﴾ في الآية يفيد العموم، فتشمل كل نفس من أنفس الإنس والجن والملائكة فلا تستطيع إدراك حقيقة هذا النعيم .

وتظهر عظمة النعيم بمقارنته بمتاع الدنيا، فإن متاع الدنيا بجانب نعيم الآخرة تافه حقير، لا يساوي شيئاً. فعن سهل بن سعد الساعدي قال: قال رسول الله ﷺ: "موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها"[(٢)].

وقد عرض القرآن الكريم صوراً لنعيم المتقين في الجنة وما أُعد لهم من تكريم. وما هُيئ لهم من نعيم رخي رغيد، تكثر تفصيلاته، وتتعدد أشكاله وألوانه.

فأخبر تعالى عما هم فيه من الحبور والسرور، والاشتغال بالنعيم عن مصير أهل الجحيم بقوله سبحانه: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الجَنَّة اليَوْمَ في شُغُل فَاكهُونَ *هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ في ظلَال علَى الأَرَائك مُتَّكئُونَ * لَهُمْ فيهَا فَاكهَةٌ ولَهُمْ مَا يَدَّعُونَ﴾ [يس:٥٥-٥٧]. فلهم ما يطلبون، ولهم ما يتمنون ويشتهون ﴿وَلَكُمْ فيهَا مَا تَشْتَهي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾ [فصِّلت:٣١].

كما ذكر عز وجل ما أعده لهم من أنواع المآكل من اللحوم والفواكه والثمار قال تعالى: ﴿وَأَمْدَدْنَاهُمْ بفَاكهَة ولَحْم ممَّا يَشْتَهُونَ يتنازعون ﴾ [الطُّور:٢٢] .وقال في آية أخرى ﴿وَفَاكهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ * ولَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾ [الواقعة:٢٠-٢١]. وفي ثالثة

(١) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق-باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة- برقم (٣٢٤٤) (١١٨/٤).
(٢) كتاب الرقاق- باب مثل الدنيا في الآخرة- برقم(٦٤١٥) (٨٨/٨).

﴿إِنَّ المُتَّقِينَ في ظِلَال وَعُيُون * وَفَوَاكِهَ ممَّا يَشْتَهُونَ﴾ [المرسلات:٤١-٤٢]. وقال جل شأنه :﴿ أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ * فَوَاكِهُ وَهُمْ مُكْرَمُونَ ﴾ [الصافات:٤١-٤٢]. إلى غير ذلك من الآيات.

ولم يذكر هنا شيء من صفات هذه المآكل إلا أنها رزق معلوم مما يشتهون ويتخيرون، وقد بيّن بعضاً من صفاتها في مواضع أخر كقوله تعالى واصفاً فاكهة الجنة : ﴿وَتِلْكَ الجَنَّةُ الَّتي أُورِثْتُمُوهَا بمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ * لَكُمْ فيهَا فَاكِهَةٌ كَثيرَةٌ منْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [الزُّخرف:٧٢-٧٣] وقال تبارك وتعالى: ﴿جَنَّات عَدْن مُفَتَّحَةً لَهُمُ الأَبْوَابُ * مُتَّكئينَ فيهَا يَدْعُونَ فيهَا بفَاكهَة كَثيرَة وَشَرَاب﴾ [ص:٥٠-٥١].وقوله جل ذكره: ﴿ وَفَاكِهَة كَثيرَة * لَّا مَقْطُوعَة وَلَا مَمْنُوعَة﴾ [الواقعة: ٣٢-٣٣] . وقوله عز من قائل ﴿فيهمَا منْ كُلِّ فَاكهَة زَوْجَان﴾ [الرَّحمن:٥٢].

أما ثمار الجنة فهي ثمار كثيرة جداً تعز على الحصر، ولا يحصيها العد، وإذا كانت ثمار الدنيا لا يكاد يحصيها الواحد من الناس، بل الجماعة منهم، فكيف بثمار الجنة، وهي ثواب الله تعالى لعباده المؤمنين ويكفي في الدلالة على ذلك قول الله تعالى ﴿وَلَهُمْ فيهَا منْ كُلِّ الثَّمَرَات﴾ [محمد:١٥]. وقوله تعالى: ﴿ كُلَّمَا رُزِقُواْ منْهَا من ثَمَرَة رِّزْقاً قَالُواْ هَذَا الَّذي رُزِقْنَا من قَبْلُ وَأُتُواْ به مُتَشَابهاً ﴾ [البقرة:٢٥].وفي هذه الآية قولان للعلماء : فعن أبي مالك وأبي صالح عن ابن عباس، وعن مرة عن ابن مسعود، وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ، قالوا : هذا الذي رزقنا من قبل أنهم أتوا بالثمرة في الجنة فلما نظروا إليها، قالوا :هذا الذي رزقنا من قبل في الدنيا. قال مجاهد :ما اشبهه به. وقال ابن زيد: هذا الذي رزقنا من قبل في الدنيا وأتوا به متشابها يعرفونه.

وقال آخرون: هذا الذي رزقنا من قبل من ثمار الجنة من قبل هذا لشدة مشابهة بعضه بعضا في اللون والطعم. واحتج أصحاب هذا القول بحجج ؛إحداها: أن المشابهة التي بين الثمار الجنة بعضها لبعض أعظم من المشابهه التي بينها وبين ثمار الدنيا، ولشدة المشابهة قالوا هذا هو. الحجة الثانية: ما حكاه ابن جرير عنهم قال :ومن علة قائلي هذا القول أن ثمار الجنة كلما نزع منها شيء عاد مكانه آخر مثله .الحجة الثالثة: قوله ﴿وأتوا به متشابها﴾ وهذا كالتعليل . والسبب الموجب لقولهم هذا الذي رزقنا من

قبل. الحجة الرابعة: أن من المعلوم أنه ليس كل ما في الجنة من الثمار قد رزقوه في الدنيا، وكثير من أهلها لا يعرفون ثمار الدنيا ولا رأوها(١).

ورجحت طائفة منهم ابن جرير وغيره القول الآخر واحتجت بوجوه؛ منها ما ذكره الطبري بقوله : « والذي يدل على صحته ظاهر الآية ويحقق صحته، قول القائلين إن معنى ذلك: هذا الذي رزقنا من قبل في الدنيا. وذلك أن الله جل ثناؤه قال: ﴿ كُلَّمَا رُزِقُواْ منْهَا من ثَمَرَة رِّزْقاً ﴾ فأخبر جل ثناؤه أن من قيل أهل الجنة كلما رزقوا من ثمر الجنة رزقا أن يقولوا: هذا الذي رزقنا من قبل. ولم يخصص بأن ذلك من قيلهم في بعض ذلك دون بعض. فإذ كان قد أخبر جل ذكره عنهم أن ذلك من قيلهم في كل ما رزقوا من ثمرها، فلا شك أن ذلك من قيلهم في أول رزق رزقوه من ثمارها أتوا به بعد دخولهم الجنة واستقرارهم فيها، الذي لم يتقدمه عندهم من ثمارها ثمرة. فإذ كان لا شك أن ذلك من قيلهم في أوله، كما هو من قيلهم في وسطه وما يتلوه، فمعلوم أنه محال أن يكون من قيلهم لأول رزق رزقوه من ثمار الجنة: ﴿ هَذَا الَّذي رُزِقْنَا من قَبْلُ ﴾ هذا من ثمار الجنة. وكيف يجوز أن يقولوا لأول رزق رزقوه من ثمارها ولما يتقدمه عندهم غيره: هذا هو الذي رزقناه من قبل؛ إلا أن ينسبهم ذو غرة وضلال إلى قيل الكذب الذي قد طهرهم الله منه، أو يدفع دافع أن يكون ذلك من قيلهم لأول رزق رزقوه منها من ثمارها، فيدفع صحة ما أوجب الله صحته بقوله: ﴿ كُلَّمَا رُزِقُواْ منْهَا من ثَمَرَة رِّزْقاً ﴾ من غير نصب دلالة على أنه معني به حال من أحوال دون حال. فقد تبين بما بينا أن معنى الآية: كلما رزق الذين آمنوا وعملوا الصالحات من ثمرة من ثمار الجنة في الجنة رزقا، قالوا: هذا الذي رزقنا من قبل هذا في الدنيا» (٢).

ولا يظن ظان أن ثمار الجنة في الحصول عليها كثمار الدنيا، تحتاج إلى من يجلبها من سوقها، أو يصعد شجرها ليقطفها، بل هي ثمار لصاحبها تأتيه حيث كان، وتدنو منه متى أراد، وما عليه إلا أن يشتهيها لينالها ﴿وَجَنَى الجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ [الرَّحمن:٥٤] ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ * قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾ [الحاقَّة:٢٢-٢٣] . إنها ثمار في

(١) انظر: جامع البيان (١/ ٤٠٧ -٤١٠)، تفسير القرآن العظيم (١/١١٣-١١٤)، الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي(١/ ٢٣٧-٢٣٨)، حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، لابن القيم(١٧١-١٧٤).

(٢) جامع البيان(١/ ٤٠٧-٤١٠)

رؤوس أشجارها، ولكنها مذللة لأصحابها يقطفونها يانعة ناضجة متى اشتهوها ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾ [الإنسان:١٤] .

قال الطبري : «وذكر أن الذي يريد ثمرها يتناوله كيف شاء ، قائماً وقاعداً ، لا يمنعه منه بعد ، ولا يحول بينه وبينه شوك . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل . ذكر من قال ذلك : حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال:ثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، قا: سمعت البراء يقول في هذه الآية﴿ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴾ قال: يتناول الرجل من فواكهها وهو نائم . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله : ﴿ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴾:دنت فلا يرد أيديهم عنها بعد ولا شوك» [(١)] .

ولابن كثير –كلام لطيف دلّ فيه على عظيم ثمار الجنة، إذ استنتج أن الله نبه بالقليل على الكثير، والهين على العظيم عندما ذكر السدر والطلح– قال: «وقد سبق فيما أوردناه من الأحاديث أن تربة الجنة مسك وزعفران، وأن ما في الجنة شجرة إلا ساقها من ذهب، فإذا كانت التربة بهذه المثابة، والأصول الثابتة فيها من الذهب، فما الظن بما يتولد بينهما من الثمار الرائقة النضيجة الأنيقة، التي ليس فيها عجم، وليس في الدنيا منها إلا الأسماء، كما قال ابن عباس، رضي الله عنه: ليس في الدنيا من الجنة إلا الأسماء. وإذا كان السدر الذي في الدنيا، وهو لا يثمر إلا ثمرة ضعيفة، وهي النبق، وفيه شوك كثير والطلح الذي لا يراد منه إلا الظل في الدنيا، يكونان في الجنة في غاية كثرة الثمار وحسنها، حتى إن الثمرة الواحدة منها تتفتق عن سبعين نوعا من الطعوم والألوان، التي لا يشبه بعضها بعضا – فما الظن بثمار الأشجار التي تكون في الدنيا حسنة الثمار، طيبة الرائحة، سهلة التناول; كالتفاح والمشمش والدراق والنخل والعنب وغير ذلك؛ بل ما الظن بأنواع الرياحين والأزاهير! وبالجملة : فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، نسأل الله من فضله»[(٢)].

وكما أن في الجنة أنواع المآكل والمطاعم، فكذلك فيها أنواع المشارب، البالغة النهايات في اللذة، من ناحية الطعم واللون والرائحة، والتي تبقى على خلقتها دون تغيير يطرأ عليها.

---

(١) المصدر السابق (١٠٣/٢٤).

(٢) البداية والنهاية (٣١٣/٢٠-٣١٤).

فمن مشاربها أنهار تجري أمام أهلها فمنها يشربون، وبها يتلذذون، وعلى ضفافها يتنعمون قال عز وجل: ﴿مَثَلُ الجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ المُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاء غَيْرِ آَسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى﴾ [محمد:١٥] فمن يتصور أشكال هذه الأنهار وهي تجري بالماء واللبن والعسل والخمر، يعلم عظم نعيمها، وجمال منظرها. وإذا كانت أنهار الدنيا قد شخصت الأبصار إلى جمالها، وأصغت الآذان لخريرها وجريانها، وازدحم الناس على ضفافها، فكيف إذن بأنهار الجنة وأنواعها ومذاقها؟.

قال السعدي: « مثل الجنة التي أعدها الله لعباده، الذين اتقوا سخطه، واتبعوا رضوانه، أي: نعتها وصفتها الجميلة .فيها أنهار من ماء غير آسن أي: غير متغير، لا بوخم ولا بريح منتنة، ولا بمرارة، ولا بكدورة، بل هو أعذب المياه وأصفاها، وأطيبها ريحاً، وألذّها شرباً، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه بحموضة ولا غيرها، وأنهار من خمر لذة للشاربين أي: يلتذ به شاربه لذة عظيمة، لا كخمر الدنيا الذي يكره مذاقه ويصدع الرأس، ويغول العقل .وأنهار من عسل مصفى من شمعه، وسائر أوساخه . ولهم فيها من كل الثمرات من نخيل، وعنب، وتفاح، ورمان، وأترج، وتين، وغير ذلك مما لا نظير له في الدنيا، فهذا المحبوب المطلوب قد حصل لهم .ثم قال :ومغفرة من ربهم يزول بها عنهم المرهوب، فأي هؤلاء خير! أم من هو خالد في النار التي اشتد حرها، وتضاعف عذابها، وسقوا فيها ماء حميماً أي: حاراً جداً، فقطع أمعاءهم، فسبحان من فاوت بين الدارين والجزاءين، والعاملين والعملين» (١).

ومن مشارب أهل الجنة كذلك عيون تفجر لهم بألذ ما يطلبه الشاربون قال تعالى: ﴿يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ * خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ المُتَنَافِسُونَ * وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ *عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا المُقَرَّبُونَ﴾ [المطَّففين:٢٥-٢٨] .وقال جل ذكره : ﴿إِنَّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا * عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴾ [الإنسان:٥-٦].وقال في موضع آخر من نفس السورة : ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا * عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا﴾ [الإنسان:١٧-١٨]. سميت بذلك لسلاستها ولذتها وحسنها.

(١) تيسير الكريم الرحمن و في تفسير كلام المنان (٧٨٦).

وأترك الحديث للعلامة ابن القيم حيث ذكر الفرق بين العين التي يشرب منها المقربون والتي يشرب منها الأبرار فقال: «فأخبر سبحانه عن العين التي يشرب بها المقربون صرفا أن شراب الأبرار يمزج منها لأن أولئك أخلصوا الأعمال كلها لله فاخلص شرابهم، وهؤلاء مزجوا، فمزج شرابهم، ونظير هذا قوله تعالى ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيم * عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ * تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيم * يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيق مَّخْتُوم * خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ * وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيم * عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴾ [المطففين: ٢٢-٢٧]فأخبر سبحانه عن مزاج شرابهم بشيئين: بالكافور في أول السورة والزنجبيل في آخرها، فإن في الكافور من البرد وطيب الرائحة، وفي الزنجبيل من الحرارة وطيب الرائحة ما يحدث لهم باجتماع الشرابين ومجيء أحدهما على أثر الآخر حالة أخرى، أكمل وأطيب وألذ من كل منهما بانفراده، ويعدل كيفية كل منهما بكيفية الآخر، وما ألطف موقع ذكر الكافور في أول السورة والزنجبيل في آخرها، فإن شرابهم مزج أولا بالكافور وفيه من البرد ما يجيء الزنجبيل بعده فيعد له، والظاهر أن الكأس الثانية غير الأولى، وأنهما نوعان لذيذان من الشراب ؛أحدهما مزج بكافور. والثاني مزج بزنجبيل»[(١)].

وهذه العيون تتفجر لهم في أي مكان من الجنة إذا اشتهوا شرابها، قال سبحانه : ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ [الإنسان:٦].

ويدار عليهم بالأشربة في كل مكان، وتصلهم في كل أوان، قال جل شأنه : ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ *بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ * لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ﴾ [الواقعة:١٩].

عن أبي أمامة –رضي الله عنه قال : "إن الرجل من أهل الجنة ليشتهي الشراب من شراب الجنة، فيجيء الإبريق فيقع في يده، فيشرب ثم يعود إلى مكانه"[(٢)] .

أما أزواج أهل الجنة من الحور العين فهن الكاملات في الوصف خلْقا وخُلقا. وقد جاء في كتاب الله تعالى وصفاً للحور العين في أكثر من موضع، ومن ذلك:

---

(١) حادي الأرواح (١٢٦).

(٢) رواه المنذري في الترغيب والترهيب برقم (٥٦٨٤) (٢٩٠/٤). وقال : «رواه ابن أبي الدنيا موقوفا بإسناد جيد». وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب(٥١٢/٣).

١. قوله تعالى في ذكر جزاء أهل الجنة:﴿ وَحُورٌ عينٌ * كَأَمْثَال اللُّؤْلُؤ الْمَكْنُون ﴾ [الواقعة:٢٢- ٢٣].

قال السعدي رحمه الله: « أي ولهم حور عين، والحوراء : التي في عينها كحل وملاحة، وحسن وبهاء، والعين : حسان الأعين وضخامها، وحسن العين في الأنثى من أعظم الأدلة على حسنها وجمالها .﴿كَأَمْثَال اللُّؤْلُؤ الْمَكْنُون ﴾ أي : كأنهن اللؤلؤ الأبيض الرطب الصافي البهي، المستور عن الأعين والريح والشمس، الذي يكون لونه من أحسن الألوان، الذي لا عيب فيه بوجه من الوجوه ، فكذلك الحور العين، لا عيب فيهن بوجه، بل هن كاملات الأوصاف، جميلات النعوت. فكل ما تأملته منها لم تجد فيه إلا ما يسر الخاطر، ويروق الناظر»[١] .

٢. قوله تعالى : ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴾ [الرحمن:٥٨] .

قال الطبري رحمه الله : « قال ابن زيد في قوله ﴿ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴾ : كأنهن الياقوت في الصفاء , والمرجان في البياض ، الصفاء صفاء الياقوتة ، والبياض بياض اللؤلؤ »[٢] .

٣. قوله تعالى في وصف نساء الجنة في سورة الواقعة : ﴿ إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً *فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا * عُرُبًا أَتْرَابًا ﴾ [الواقعة:٣٥-٣٧] .

قال ابن كثير رحمه الله : « قوله (عُرُباً) : قال سعيد بن جبير عن ابن عباس يعني : متحببات إلى أزواجهن ، وعن ابن عباس : العُرُب العواشق لأزواجهن , وأزواجهن لهن عاشقون وقوله (أَتْرَابا) قال الضحاك عن ابن عباس يعني : في سن واحدة ثلاث وثلاثين سنة وقال السدي : (أترابا) أي : في الأخلاق المتاخيات بينهن، ليس بينهن تباغض ولا تحاسد ، يعني : لا كما كن ضرائر متعاديات »[٣] .

وقال الحافظ ابن حجر : عن مجاهد في قوله ﴿ عُرُباً أتراباً ﴾ قال : «هي المحببة إلى زوجها »[٤] .

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان(٩٩١).

(٢) جامع البيان (١٥٢/٢٧) .

(٣) تفسير القرآن العظيم (٢٩٤/٤).

(٤) فتح الباري (٦٢٦/٨).

وقال تعالى في وصفهن : ﴿ فيهنَّ خَيْرَاتٌ حسَانٌ﴾ [الرحمن:٧٠] .

قال ابن القيم : «ووصفهن بأنهن خيرات حسان، وهو جمع خَيْرة وأصلها خَيِّرة وهي التي قد جمعت المحاسن ظاهرا وباطنا، فكمل خلقها وخلقها، فهن خيرات الأخلاق، حسان الوجوه»(١) .

ووصفهن بالطهارة فقال :﴿ ولَهُمْ فيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [البقرة:٢٥] .

قال ابن القيم: « ووصفهنّ بالطهارة فقال : (ولَهُمْ فيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ) طهرن من الحيض والبول والنجو (الغائط) وكل أذى يكون في نساء الدنيا، وطهرت بواطنهن من الغيرة وأذى الأزواج، وتجنيهنّ عليهم وإرادة غيرهم»(٢) .

ووصفهن تعالى بأنهن قاصرات أطرافهن عن غير أزواجهن فقال:﴿فيهنَّ قَاصرَاتُ الطَّرْف﴾[الرحمن:٥٦]. وقال: ﴿حُورٌ مَقْصُورَاتٌ في الْخيَام ﴾ [الرحمن:٧٢] .

قال ابن القيم: « ووصفهن بأنهن (مقصورات في الخيام) أي : ممنوعات من التبرج والتبذل لغير أزواجهن ، بل قد قُصرْن على أزواجهن، لا يخرجن من منازلهم، وقَصَرْنَ عليهم فلا يردن سواهم، ووصفهن سبحانه بأنهن (قاصرات الطرف) وهذه الصفة أكمل من الأولى، فالمرأة منهن قد قصرت طرفها على زوجها من محبتها له ورضاها به، فلا يتجاوز طرفها عنه إلى غيره»(٣) .

هذا طرف من ذكرهن في القرآن، وقد جاء في السنة ما تحار فيه العقول في وصف جمالهن وحسنهن، ومن ذلك :

١. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إن أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر' ثم الذين يلونهم كأشد كوكب دري في السماء إضاءة، قلوبهم على قلب رجل واحد لا اختلاف بينهم ولا تباغض، لكل امرئ منهم زوجتان من الحور العين، يرى مخ سوقهن من وراء العظم واللحم من الحسن "(٤) .

---

(١) المصدر السابق (٦٢٦/٨).

(٢) روضة المحبين (٢٤٣ -٢٤٤).

(٣) روضة المحبين (٢٤٤).

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الصلاة – باب خلق آدم صلوات الله عليه وذريته – برقم (٣٣٢٧) (١٣٢/٤).

قال ابن حجر: «الحور التي يحار فيها الطرف، يبان مخ سوقهن من وراء ثيابهن، ويرى الناظر وجهه في كبد إحداهن ،كالمرآة من رقة الجلد وصفاء اللون» (١) .

٢. وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " لو أن امرأة من نساء أهل الجنة اطلعت إلى الأرض لأضاءت ما بينهما، ولملأت ما بينهما ريحا، ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها "(٢) .

فلو أطلت بوجهها لأضاءت ما بين السماء والأرض ، فأي نور وجمال في وجهها ! وطيبُ ريحها يملأ ما بين السماء والأرض، فما أجمل ريحها ! وأما لباسها؛ فإن كان المنديل الذي تضعه على رأسها خير من جمال الدنيا وما فيها من متاع وروعة وطبيعة خلابة وقصور شاهقة، وغير ذلك من أنواع النعيم، فسبحان خالقها ما أعظمه ، وهنيئا لمن كانت له وكان لها .

وفيما ذُكر من حالهن ووصفهن كفاية؛ لأن المقصود هنا تقرير حقيقة نعيم الأجساد، بالأدلة من الكتاب والسنة على سبيل الإجمال لا الحصر.

وبما سبق من هذه الأدلة يظهر جلياً أن نعيم الجنة حسي حقيقي، وبهذا أجاب شيخ الإسلام ابن تيمية على من سأله: هل أهل الجنة يأكلون ويشربون وينكحون بتلذذ كالدنيا؟

فقال: «أما أهل الجنة فيأكلون ويشربون، وينكحون متنعمين بذلك بإجماع المسلمين ،كما نطق به الكتاب والسنة» (٣) .

وقال ابن القيم : «قال تعالى : ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقاً قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهاً وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾. فتأمل جلالة المبشر ومنزلته وصدقه، وعظمة من أرسله إليك بهذه البشارة، وقدر ما بشرك به وضمنه لك على أسهل شيء عليك وأيسره، وجمع سبحانه في هذه البشارة بين نعيم البدن بالجنات

(١) فتح الباري(٨/ ٥٧٠).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الصلاة – باب صفة الجنة والنار – برقم (٦٥٦٨) (١١٧/٨).

(٣) مجموع الفتاوى(٣١٦/٤).

وما فيها من الأنهار والثمار، ونعيم النفس بالأزواج المطهرة، ونعيم القلب وقرة العين بمعرفة دوام هذا العيش أبد الآباد وعدم انقطاعه» [1] .

المطلب الثاني : الأدلة من كتب اليهود والنصارى :

لا شك أن الكتب السماوية التي أنزلها الحق تبارك وتعالى كانت تزخر نصوصها بذكر اليوم الآخر ، والتخويف منه، والتبشير بما أعده الله للمؤمنين به في جنات النعيم، والتحذير من النار وأهوال القيامة، بدليل ما أخبر به القرآن الكريم، إلا أن هذه الكتب طرأ عليها تحريف، وتبديل كثير، وحذفت كثير من نصوصها التي فيها ذكر لليوم الآخر.

وفي هذا المبحث سأعرض لبعض هذه النصوص، التي نجت من التحريف، والتي ذكرت اليوم الآخر وبالأخص نعيم الجنة .

أ-الأدلة من كتب اليهود:

كان من عقيدة اليهود قبل تحريفها- وذلك حين كانت تستمد تشريعها من السماء- الإيمان باليوم الآخر، وأنه دار الجزاء، وقد أثبت الله ذلك عنهم في عدة آيات من القرآن الكريم، قال عزَّ وجلَّ في خطابه لموسى عليه السلام: ﴿ إِنَّ السَّاعَةَ ءاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْس بِمَا تَسْعَى ﴾ [طه: ١٥], وقال عزَّ وجلَّ على لسان موسى عليه السلام: ﴿وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِه الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، وقال عزَّ وجلَّ عن صالحي جنود طالوت: ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاَقُو اللّه كَم مِّن فِئَة قَلِيلَة غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللّه وَاللّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

وقد كان اليهود على عهد رسول الله ﷺيسألون عن طعام أهل الجنة وشرابهم ليروا صدقه، فعن ثوبان مولى رسول الله ﷺ، قال: " كنت قائما عند رسول الله ﷺ، فجاء حبر من أحبار اليهود، فقال: السلام عليك يا محمد، فدفعته دفعة كاد يصرع منها، فقال: لم تدفعني ؟ فقلت: ألا تقول يا رسول الله ؟ فقال اليهودي : إنما ندعوه باسمه الذي سماه به أهله، فقال رسول الله ﷺ: " إن اسمي محمد الذي سماني به أهلي"، فقال اليهودي: جئت أسألك، فقال له رسول الله ﷺ: "أينفعك شيء إن حدثتك؟ "، قال: أسمع بأذني، فنكت رسول الله ﷺ بعود معه، فقال: "سل"، فقال اليهودي: أين يكون الناس يوم

(١) حادي الأرواح (٢١٧).

تبدل الأرض غير الأرض والسموات؟ فقال رسول الله ﷺ: " هم في الظلمة دون الجسر "، قال: فمن أول الناس إجازة؟ قال: " فقراء المهاجرين "، قال اليهودي: فما تحفتهم حين يدخلون الجنة؟ قال: " زيادة كبد النون "، قال: فما غذاؤهم على إثرها؟ قال: " ينحر لهم ثور الجنة الذي كان يأكل من أطرافها "، قال: فما شرابهم عليه؟ قال: " من عين فيها ، تسمى سلسبيلا"، قال: صدقت"(١) .

ويتضح من خلال أسئلة اليهودي لرسول الله ﷺأنه يسأل عن الجنة وطعام أهله وشرابهم, وكلما أجاب الرسول ﷺقال اليهودي صدقت، لأن إجابة الرسول كانت موافقة لما يعتقده، فدلّ على أن اليهود على عهد رسول الله ﷺكانوا يعتقدون في النعيم الحسي في الجنة، وعليه فما ثبت عن فرقهم الشهيرة من انكارهم للبعث والجزاء والجنة والنار ؛ قد يكون يصور اعتقاد فرق من اليهود غير الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ. أو قد يكون هذا الانكار من التبديل والتحريف، الذي نص القرآن الكريم على ممارسة اليهود له للكتب التي أنزلها الله على أنبيائه، ولا ريب أن حديث القرآن الكريم عن نعيم الجنة إنما هو خبر لا نسخ فيها ولا يحتمل إلا الصدق، وعليه فيكون نعيم الجنة الذي أخبر الله به موسى هو نفسه الذي أخبر به عيسى، وهو الذي صدق الرسول ﷺ فيه.

إلا أن اليهود انحرفوا عن هذا الاعتقاد كسائر انحرافهم عن دينهم الصحيح الذي أنزل على نبيهم موسى عليه السلام، وقد سجل الله عليهم هذه الانحرافات، وعابهم عليها، وكذَّبهم فيها، فقال عز من قائل: ﴿ وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّاماً مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُون ﴾ [البقرة: ٨٠] وزعموا أن الجنة لهم وحدهم، وكذَّبهم الله بذلك قال عز وجل: ﴿وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [البقرة: ١١١] هذا ما حكاه الله عز وجل عن صالحيهم وفاسقيهم حول عقيدة الإيمان بالبعث، والجنة والنار.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ،كتاب الحيض– باب بيان صفة مني الرجل، والمرأة وأن الولد مخلوق من مائهما – برقم (٣١٥) (٢٥٢/١).

ويذكر الدكتور علي وافي : أنه لا يوجد في فرقهم الشهيرة من يؤمن باليوم الآخر، ففرقة الصادوقيين[١] تنكر قيام الأموات، وتعتقد أن عقاب العصاة وإثابة المتقين إنما يحصلان في حياتهم[٢] .

وأجاب عيسى عن سؤال أحد تلامذته القائل: (أيذهب جسدنا الذي لنا إلى الجنة؟ فقال له عيسى عليه السلام: احذر يا بطرس من أن تصير صدوقياً، فإن الصدوقيين يقولون: إن الجسد لا يقوم أيضاً، وإنه لا توجد ملائكة، لذلك حرم على جسدهم وروحهم الدخول في الجنة)[٣] .

وفرقة الفريسيين[٤] تعتقد أن الصالحين من الأموات سينشرون في هذه الأرض؛ ليشتركوا في ملك المسيح

الذي يأتي آخر الزمان، فهم ينكرون على هذا البعث يوم القيامة[٥] .

أما كتابهم التوراة وسائر الكتب الملحقة به فقد خلت من ذكر الجنة والنار والبعث والنشور، إلا نزراً يسيراً سَلم من التحريف والتبديل.

١- ففي التوراة التي تنسب إلى موسى عليه السلام لا نجد إلا نصاً واحداً يصرح بيوم القيامة ، وهو في التوراة السامرية، ففي سفر التثنية الإصحاح الثاني والثلاثون

---

(١) مأخوذة من الكلمة العبرية (صِّدوقيم)، ويُقال لهم أحياناً (البوئيثيون Boethusian). وأصل الكلمة غير محدَّد. ومن المحتمل أن يكون أصل الكلمة اسم الكاهن الأعظم «صادوق» (في عهد سليمان) الذي توارث أحفاده مهمته حتى عام ١٦٢ ميلادية. و(الصدوقيون) فرقة دينية وحزب سياسي تعود أصوله إلى قرون عدة سابقة على ظهور المسيح عليه السلام. وهم أعضاء القيادة الكهنوتية المرتبطة بالهيكل وشعائره، والمدافعون عن الحلولية اليهودية الوثنية. (انظر: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية(٢/١٠٠).

(٢) انظر: اليهودية د. علي وافي (٤٩-٥٠).

(٣) إنجيل متى الإصحاح ٢٢ فقرة ٢٣ .

(٤) كلمة فريسيون: مأخوذة من الكلمة العبرية (بيروشيم)، أي (المنعزلون). وكانوا يلقبون أيضاً بلقب (حبيريم)، أي (الرفاق أو الزملاء)، فرقة دينية وحزب سياسي ظهر نتيجة الهبوط التدريجي لمكانة الكهنوت اليهودي بتأثير الحضارة الهيلينية التي تُعلي من شأن الحكيم على حساب الكاهن. ويُرجع التراث اليهودي جذورهم إلى القرنين الرابع والثالث قبل الميلاد، وقد كان الفريسيون يشكلون أكبر حزب سياسي ديني في ذلك الوقت.(انظر: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية،٢/١٠٠).

(٥) انظر: بنو إسرائيل في القرآن الكريم(١٤١-١٤٣)، اليهودية د. علي وافي (ص٤٩-٥٠)، اليهودية أحمد شلبي (١٩٥).

–وكذلك سائر الكتب الملحقة فيه–(أليس هو مجموعاً عندي مختوماً في خزائني، إلى يوم الانتقام والمكافأة، وقت تزل أقدامهم) [١] .

وجاء النص في التوراة العبرانية هكذا : (أليس ذلك مكنوزاً عندي مختوماً عليه في خزائني، إلي النقمة والجزاء في وقت تزل أقدامهم).

قال القرطبي معللاً ذلك: (فإن قالوا: فلأي معنى لم يصرح موسى في التوراة بذلك وبأخبار القيامة، قلنا: الله ورسوله أعلم، وعلى سبيل التنبيه تحتمل وجوها؛ أحدها: لعتو بني إسرائيل وتمردهم ولكَلال أفهامهم.

ثانيها: لبعد زمان ذلك. ثالثها: ليُعجل لهم جزاء أعمالهم، فإنما كانوا يهددون ويخوفون بالعقوبات العاجلة ويوعدون باللذات العاجلة، من الملك وتكثير الرزق وخصب البلاد إلى غير ذلك.

رابعها: لأنه قد كان سبق في علم الله تعالى أنه يرسل رسولاً في آخر الزمان ليس بعده نبي ولا رسول، يبين أمور الآخرة بيانا شافيا، وهو محمد رسول الله ﷺوذلك لقرب القيامة من زمانه، وليحصل لنبينا ﷺمن فضيلة العلم والأعلام ما لم يحصل لأحد غيره، ولتختص أمته بعلم ليس لأحد غيرها. وهذا الوجه هو أقرب الوجوه والله أعلم)[٢].

أما أسفار الأنبياء الأخرى في التوراة ففيها بعض النصوص التي تُصرِّح بالبعث والنشور، ففي سفر دانيال:(كثيرون من الراقدين تحت التراب يستيقظون، هؤلاء إلى الحياة الأبدية، وهؤلاء إلى العار، والازدراء الأبدي) [٣].

وفي سفر المزامير يذكر الحشر إلى النار فيقول:(مثل الغنم إلى النار يساقون، الموت يرعاهم، ويسودهم المستقيمون غداة، وصورتهم تبلى، والهاوية مسكن لهم)[٤].

وجاء في سفر أيوب: (فخبزه في أمعائه يتحول مرارة أصلال في بطنه، قد بلع ثروة فيتقيأها .الله يطردها من بطنه. سمّ الاصلال يرضع. يقتله لسان الافعى. لا يرى الجداول انهار سواقي عسل ولبن) [٥].

---

(١) التوراة السامرية الإصحاح الثاني والثلاثون فقرة٣٤–٣٥ .

(٢) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن الإسلام، للقرطبي (٤٣٦).

(٣) سفر دانيال الإصحاح ١٢.

(٤) المزمور الخامس والخمسين الفقرة ٥ .

(٥) سفر أيوب الإصحاح العشرون.

وما يهمنا في هذا النص هو عبارة – لا يرى الجداول أنهار سواقي عسل ولبن– فإن المقصود بها أنهار الجنة كما جاء في سفر يوئيل:(ويكون في ذلك اليوم أن الجبال تقطر عصيراً، والتلال تفيض لبناً، وجميع ينابيع يهوذا تفيض ماء، ومن بيت الرب يخرج ينبوع ويسقي وادي السنط)[١].

وآخر ما ورد في يوحنا عن الجنة :(من له أذن فليسمع ما يقوله الروح للكنائس. من يغلب فسأعطيه أن يأكل من شجرة الحياة التي في وسط فردوس الله)[٢].

ب–الأدلة من كتب النصارى :

يعتقد النصارى بالبعث الجسدي، ورد في قاموس الكتاب المقدس:(تتضمن القيامة بحسب تعليم الكتاب المقدس قيامه الأجساد وتغيير هذه الأجساد وبقاءها إلى الأبد). ثم قال: (ولقد علَّم المسيح بوضوح بأن الموتى سيقومون)[٣] .

كما أن النصارى يؤمنون بالنعيم الأبدي في الجنة، والعذاب الأبدي في النار، كما جاء في إنجيل متى: (حينَئذ يَقُولُ المَلِكُ للَّذينَ عَنْ يَمينه: تَعَالَوا، يَا مُبَارَكي أَبي، رثُوا المَلَكُوتَ المُعَدَّ لَكُم مُنْذُ إنْشَاء العَالَم؛ لأَنِّي جُعْتُ فَأَطْعَمْتُمُوني، وعَطشْتُ فَسَقَيْتُمُوني ....ثُمَّ يَقُولُ للَّذينَ عَنْ شمَاله: إذْهَبُوا عَنِّي، يَا مَلاعين، إلى النَّار الأَبَديَّة المُعَدَّة لإبْليسَ وجُنُوده؛ لأَنِّي جُعْتُ فَمَا أَطْعَمْتُمُوني، وعَطشْتُ فَمَا سَقَيْتُمُوني ... ويَذْهَبُ هؤُلاء إلى العَذَاب الأَبَديّ، والأَبْرَارُ إلى الحَيَاة الأَبَديَّة)[٤] .

وهم يزعمون مع ذلك أن الجنة ليس فيها أكل ولا شرب ولا نكاح ولا شيء من المتع الحسية، وإنما يعتقدون أن المتعة تكون برؤية الله فقط.

فلهذا يقول ميخائيل مينا: (إن نعيم الأبرار هو عبارة عن اتصالهم بالله ورؤيتهم جلاله، ورؤية الله هي الجزاء الأعظم الفائق كل خير الذي يملأ رغبة كل إنسان ويشبع شهوات نفسه، بل هو سعادته النهائية المشتهاة من كل مشاعره والتي إليه تتجه كل أشواق قلبه)[٥].

---

(١) سفر يوئيل الإصحاح الثالث.

(٢) سفر الرؤيا الإصحاح الثاني فقرة سبعة.

(٣) قاموس الكتاب المقدس (٧٤٨–٧٥٠) .

(٤) إنجيل متى الإصحاح ٢٥ فقرة ٣٤ .

(٥) علم اللاهوت النظامي (١٢١٠)

وإنكارهم هذا يعود إلى أنهم يرون أن الأجساد يوم القيامة ستكون أجساداً روحانية لا تحتاج إلى الطعام والشراب، وليس فيها شهوة الجماع، ولا فرق فيها بين جسد المرأة وجسد الرجل . ويستدلون لذلك بنصين: أحدهما في إنجيل متى وفيه يقول المسيح: (لأنهم في القيامة لا يزوجون ولا يتزوجون، بل يكونون كملائكة الله في السماء)[١].

والآخر من كلام بولس وهو يتحدث عن قيامة الأموات : (يزرع جسماً حيوانياً ويقام جسماً روحانياً)[٢].

وهذا الكلام من بولس لا دليل له عليه، وهو من اختراعاته وافتراءاته العديدة[٣] .

أما النص المنسوب إلى المسيح بأنهم في القيامة لا يتزوّجون و لا يزوّجون فالرد عليه من وجهين :-

الوجه الأول: على كل من يحتج بهذا النص أن يثبت ثلاث مقدمات وهي: – اثبات صحة السند موصولاً للمسيح عليه السلام، ودون ذلك خرط القتاد، فكاتب إنجيل متّى غير معروف باعتراف علماء النصرانية.

جاء في التفسير الحديث للكتاب المقدس – إنجيل متى – نشر دار الثقافة صفحة ٢٣ ما نصه (وإجماع الآباء على نسبة الإنجيل إلى الرسول متّى يصبح ضعيفاً عندما ندرك أنه من غير المؤكد أن أقدم من يفترض أنهم شهود لهذا الاعتقاد لا يساندونه البتة. ... فما هو إذا الدليل المستمد من الإنجيل ذاته؟ إنه لا شك، كسائر الأناجيل، عمل غير معروف كاتبه من حيث أنه لم يأت في النص ذكر لاسم كاتبه) – اثبات صحة الترجمة فالمسيح عليه السلام كان يتكلم بالآرامية، و أصل النص المنقول باليونانية .

– اثبات صحة التفسير لهذا النص، بأن المعنى المذكور يدل على انتفاء وجود اللذات الجسمانية يوم القيامة، فغاية ما يدل عليه النص أن الزواج يوم القيامة غير حاصل، ولا يبطل ما تم قبله في الحياة الدنيا ولا يبطل بقية اللذات الجسمانية غير الزواج .

---

(١) إنجيل متى الإصحاح ٢٢ فقرة ٣٩ .

(٢) رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس(١٥: ٤٤).

(٣) يبدو أن هذه العقيدة أتى بها بولس من اليهود، وذلك أن اليهود قالوا في التلمود: " لا مطعم في العالم الآتي، ولا مشرب، ولا عشق، ولا عمل، ولا حسد، ولا حقد، ولا شحناء، أهل الحق سيجلسون وعلى رؤوسهم التيجان وهم يمجدون في بهاء وجلال الله". انظر كنوز التلمود (٣٣).

الوجه الثاني: معارضة هذا النص بما جاء في إنجيل متّى على لسان المسيح عليه السلام: (و كل من ترك بيوتاً أو إخوةً أو أخوات أو أباً أو أمّاً أو امرأةً أو أولاداً أو حقولاً من أجل اسمي يأخذ مئة ضعف، و يرث الحياة الابدية) (١).

فدلّ هذا النص على أن من ترك شيئاً لأجل المسيح، فالله يعوّضه بمئة ضعف من جنس هذا المتروك، و منها من ترك امرأةً، فلا شك في أن النص قد دل على أنه يأخذ مئة امرأة، مجازاةً له على متابعة المسيح. وهذا فيما يتعلق بالزواج في الجنة.

أما الطعام والشراب في الآخرة فقد ثبت في نصوص الأناجيل من ذلك ما ذكره لوقا- أن المسيح قال لتلاميذه الذين يؤمنون به - :(وأنا أجعل لكم كما جعل لي أبي ملكوتا، لتأكلوا وتشربوا على مائدتي وتجلسوا على كراسي تدينون أسباط إسرائيل الإثنى عشر)(٢)

وفي إنجيل متى -إن المسيح قال لتلاميذه بعد آخر شراب شربه معهم-: (وأقول لكم إني من الآن لا أشرب من نتاج الكرمة هذا إلى ذلك اليومن حينما أشربه معكم جديداً في ملكوت أبي) (٣) .

وجاء في لوقا:(لتأكلوا وتشربوا على مائدتي في ملكوتي، وتجلسوا على كراسي تدينون أسباط إسرائيل الاثني عشر)(٤) .

وفي لوقا أيضاً يخبرنا أن هناك خبز يأكله الناس في ملكوت الله:(فلما سمع ذلك واحد من المتكئين قال له: طوبى لمن يأكل خبزاً في ملكوت الله)(٥) .

ورد في انجيل متى :(كل من ترك بيوتاً أو إخوتاً أو أخواتاً أو أباً أو أماً أو امرأةً أو أولاداً أو حقولاً من أجل اسمي يأخذ مئة ضعف ، ويرث الحياة الأبدية)(٦).

وهذا نص صريح في أن نعيم الآخرة يشبه نعيم الدنيا مع الاختلاف . وكان المسيح يرغّبهم فيما عند الله بأن من ترك منهم في الدنيا بيوتاً فله بدلاً منها مائة ضعف ، وله حياة أبدية، والمائة ضعف والحياة الأبدية لا تكون إلا في الجنة، وأيضا من ترك حقولاً في الدنيا فله بدلاً منها مائة ضعف، ومن ترك زوجة فله بدلاً منهامائة ضعف زوجة بنص الأناجيل. وله الحياة الأبدية .

---

(١) إنجيل متى الإصحاح ١٩ فقرة ٢٩ .

(٢) إنجيل لوقا الإصحاح ٢٢ فقرة ٢٩ .

(٣) إنجيل متى الإصحاح ٢٦ فقرة ٢٩ .

(٤) إنجيل لوقا الإصحاح ٢٢ فقرة ٣٠ .

(٥) المصدر السابق الإصحاح ١٤فقرة ١٥ .

(٦) إنجيل متى الإصحاح ١٩ فقرة ٢٩ .

ومن أكثر الكتب التي تحدثت عن الجنة والنار إنجيل برنابا، فقد تحدث عن أهل الجنة، وأنهم يأكلون ويشربون، ولكنهم لا يتبولون ولا يتغوطون، لأن طعامهم وشرابهم ليس فيه خبث ولا فساد، ولكن النصارى يكذبون بهذا الإنجيل الذي ظهر أخيراً في عصرنا هذا.

فهذه النصوص جميعا تعارض تلك النصوص التي تنكر النعيم الحسي، وتثبت نعيم الجنة وأنه حقيقي حسي.

وهذه المسألة أبان الجواب عنها مفصلاً شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله لمن سأله بقوله :(ورد عن النبي ﷺ" أن أهل الجنة يأكلون ويشربون ويتمتعون ولا يبولون ولا يتغوطون. فقال: من أكل وشرب، بال وتغوط. ثم قيل له: إن في الجنة طيوراً إذا اشتهى صار قدامه على أي صورة أراد من الأطعمة وغيرها فقال: هذا فشار. هل بجحده هذا يكفر ويجب قتله أم لا؟ فأجاب رحمه الله : الأكل والشرب في الجنة ثابت بكتاب الله وسنة رسوله وإجماع المسلمين، وهو معلوم بالاضطرار من دين الإسلام، وكذلك الطيور والقصور في الجنة بلا ريب، كما وصف ذلك في الأحاديث الصحيحة الثابتة عن النبي ﷺوكذلك إن أهل الجنة لا يبولون ولا يتغوطون ولا يبصقون، لم يخالف من المؤمنين بالله ورسوله أحد، وإنما المخالف في ذلك أحد رجلين: إما كافر، وإما منافق. أما الكافر فإن اليهود والنصارى ينكرون الأكل والشرب والنكاح في الجنة، يزعمون أن أهل الجنة إنما يتمتعون بالأصوات المطربة والأرواح الطيبة مع نعيم الأرواح، وهم يقرون مع ذلك بحشر الأجساد مع الأرواح ونعيمها وعذابها. وأما طوائف من الكفار وغيرهم من الصابئة والفلاسفة ومن وافقهم فيقرون بحشر الأرواح فقط وأن النعيم والعذاب للأرواح فقط. .. وقد بين الله تعالى في كتابه على لسان رسوله أمر معاد الأرواح والأجساد ورد على الكافرين والمنكرين لشيء من ذلك بيانا في غاية التمام والكمال. ....وهؤلاء كلهم كفار يجب قتلهم باتفاق أهل الإيمان؛ فإن محمدا ﷺ قد بين ذلك بيانا شافيا قاطعا للعذر وتواتر ذلك عند أمته خاصها وعامها وقد ناظره بعض اليهود في جنس هذه المسألة وقال: {يا محمد أنت تقول: إن أهل الجنة يأكلون ويشربون ومن يأكل ويشرب لا بد له من خلاء. فقال النبي ﷺ رشح كرشح المسك} ". ويجب على ولي الأمر قتل من أنكر ذلك ولو أظهر التصديق بألفاظه فكيف بمن ينكر الجميع؟ والله أعلم)[1].

(١) مجموع الفتاوى(٤/٣١٣-٣١٥).

المبحث الثاني : الأدلة العقلية على حقيقة نعيم الجنة

المطلب الأول : الأدلة العقلية على حقيقة نعيم الجنة .

أ-حدود العقل في الإلهيات والغيبيات:

العقل مصدر من مصادر المعرفة الدينية، إلا أنه ليس مصدراً مستقلاً؛ بل يحتاج إلى تنبيه الشرع، وإرشاده إلى الأدلة؛ لأن الاعتماد على محض العقل، سبيل للتفرق والتنازع[1]، فالعقل لن يهتدي إلا بالوحي، والوحي لا يلغي العقل.

وقد رفع الوحي من قيمة العقل وحث على التعقل، وأثنى على العقلاء، قال تعالى: ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الأَلْبَابِ ﴾ [الزمر: ١٧-١٨].

والنصوص الشرعية قد جاءت متضمنة الأدلة العقلية صافية من كل كدر، فما على العقل إلا فهمها وإدراكها، فمن ذلك: قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٢]. وقال سبحانه: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴾ [الطور:٣٥]. وقال جل وعلا : ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عند غَيْرِ اللّه لَوَجَدُواْ فيه اخْتِلاَفًا كَثِيرًا﴾ [سورة النساء: ٨٢].

وخوض العقل في أمور الإلهيات باستقلال عن الوحي – وهو طريقة الفلاسفة – مظنة الهلاك وسبيل الضلال.

يقول ابن رشد الفيلسوف –وهو ممن خاض بالعقل في مسائل الاعتقاد وطالت تجربته–: «لم يقل أحد من الناس في العلوم الإلهية قولا يعتد به، وليس يعصم أحد من الخطأ إلا من عصمه الله تعالى بأمر إلهي خارج عن طبيعة الإنسان، وهم الأنبياء»[2].

ويقول الرازي –بعد طول بحث في طرق الفلاسفة ومناهجهم–: «ولقد اختبرت الطرق الكلامية، والمناهج الفلسفية، فما رأيت فائدة تساوي الفائدة التي وجدتها في القرآن. وقال: لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية، فما رأيتها تشفي عليلاً ولا تروي غليلاً، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن. ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي» [3]. فالموافقة للكتاب والسنة ميزان صحة المعقولات.

---

(١) إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد، لابن الوزير(١١٧).

(٢) تهافت التهافت(٢/٥٤٧).

(٣) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، للذهبي(١٣/١٣٧).

قال إسماعيل بن الفضل: «وأما أهل الحق فجعلوا الكتاب والسنة أمامهم، وطلبوا الدين من قبلهما، وما وقع لهم من معقولهم وخواطرهم عرضوه على الكتاب والسنة، فإن وجدوه موافقاً لهما قبلوه، وشكروا الله حيث أراهم ذلك ووفقهم عليه، وإن وجدوه مخالفاً لهم تركوا ماوقع لهم، وأقبلوا على الكتاب والسنة،ورجعوا بالتهمة على أنفسهم»(١)

والعقل قد يهتدي بنفسه إلى مسائل الاعتقاد الكبار على سبيل الإجمال، كإثبات وجود الله لثبوت ذلك في الفطرة. أما مسائل العقيدة التفصيلية مما يتعلق بذات الله تعالى وصفاته ورسوله وأنبيائه، وما يجب لهم وما يستحيل، فما كانت العقول لتدركها لولا مجيء الوحي.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية –جامعاً ومقرراً ضوابط هذه المسألة– : «وإن شئت أن تقسم المأمور به إلى ما يعرف بالعقل فقط وإلى ما يعرف بالشرع أيضا فيكون شرعياً خبراً وأمراً؛ فإن ما علم بالشرع لا يخلو: إما أن يراد به إخبار الشارع أو دلالة الشارع، فإذا عني به ما دلّ عليه الشارع مثل دلالته على آيات الربوبية ودلالة الرسالة ونحو ذلك؛ فإنه يجتمع في هذا أن يكون شرعياً عقلياً. فإن الشارع لما نبه العقول على الآيات والبراهين والعبر، اهتدت العقول فعلمت ما هداها إليه الشارع. واعلم أن عامة مسائل أصول الدين الكبار؛ مثل الإقرار بوجود الخالق وبوحدانيته وعلمه وقدرته ومشيئته وعظمته والإقرار بالثواب وبرسالة محمد ﷺ، وغير ذلك مما يعلم بالعقل: قد دل الشارع على أدلته العقلية. وهذه الأصول التي يسميها أهل الكلام العقليات وهي ما تعلم بالعقل فإنها تعلم بالشرع لا أعني بمجرد إخباره فإن ذلك لا يفيد العلم إلا بعد العلم بصدق المخبر، فالعلم بها من هذا الوجه موقوف على ما يعلم بالعقل، من الإقرار بالربوبية وبالرسالة، وإنما أعني بدلالته وهدايته كما أن ما يتعلمه المتعلمون ببيان المعلمين وتصنيف المصنفين، إنما هو لما بينوه للعقول من الأدلة. فهذا موضع يجب التفطن له؛ فإن كثيراً من الغالطين من متكلم ومحدث ومتفقه وعامي وغيرهم، يظن أن العلم المستفاد من الشرع إنما هو لمجرد إخباره تصديقاً له فقط؛ وليس كذلك؛ بل يستفاد منه بالدلالة والتنبيه والإرشاد، جميع ما يمكن ذلك فيه من علم الدين. والقسم الثاني من الشرعي: ما يعلم بإخبار الشارع. فهذا لا يخلو: إما أن يمكن علمه بالعقل أيضا؛ أو لا

(١) الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، لإسماعيل بن محمد بن الفضل (٢/ ٢٣٨).

يمكن؛ فإن لم يمكن فلهذا يعلم بمجرد إخبار الشارع، وإن أمكن علمه بالعقل فهل يوجد مثل هذا؟ وهو أن يكون أمر أخبر الشارع به وعلمه ممكن بالعقل أيضا، ولم يدل الشارع على دليل له عقلي، فهذا ممكن ولا نقص إذا وقع مثل هذا في الشريعة؛ فإنه إذا عرف صدق المبلغ جاز أن يعلم بخبره كل ما يحتاج إليه، ولا ريب أن كثيراً من الناس لا ينالون علم ذلك إلا من جهة خبر الشارع، وقد أحسنوا في ذلك حيث آمنوا به؛ لكن هل ذلك واقع مطلقا؟ . وقد ذهب خلائق من المتفلسفة والمتكلمة والمتفقهة والمتصوفة والعامة وغير ذلك إلى وقوع ذلك، وهو أن فيما أخبر به الشارع أموراً قد تعلم بالعقل أيضا، وإن كان الشارع لم يذكر دلالته العقلية. وهذا فيه نظر؛ فإن من تأمل وجوه دلالة الكتاب والسنة وما فيها من جلي وخفي وظاهر وباطن، قد يقول: إن الشارع نبه في كل ما يمكن علمه بالعقل على دلالة عقلية، كما قد حصل الاتفاق على أن ذلك واقع في مسائل أصول الدين الكبار وفي هذا نظر. فصارت العلوم بهذا الاعتبار: إما أن تعلم بالشرع فقط وهو ما يعلم بمجرد إخبار الشرع مما لا يهتدي العقل إليه بحال لكن هذه العلوم قد تعلم بخبر آخر غير خبر شارعنا محمد ﷺ. وإما أن تعلم بالعقل فقط؛ كمرويات الطب والحساب والصناعات. وإما أن تعلم بهما، فإما أن يكون الشارع قد هدى إلى دلالتها كما أخبر بها أم لا فإن كان الأول فهي عقليات الشرعيات؛ أو عقلي لشارع. أو ما شرع عقله. أو العقل المشروع. وإما أن يكون قد أخبر بها فقط فهذه عقلية من غير الشارع. فيجب التفطن »[1] .

وأخيراً: فإن العقل الصريح لا يخالف النقل الصحيح؛ فالأول خلق الله تعالى، والثاني أمره، ولا يتخالفان؛ لأن مصدرهما واحد وهو الحق سبحانه: ﴿أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ ﴾ [الأعراف: ٥٤].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وليس في الكتاب والسنة وإجماع الأمة شيء يخالف العقل الصريح؛ لأن ما خالف العقل الصريح باطل، وليس في الكتاب والسنة والإجماع باطل، ولكن فيه ألفاظ قد لا يفهمها بعض الناس، أو يفهمون منها معنى باطلاً، فالآفة منهم لا من الكتاب والسنة »[2].

(١) مجموع الفتاوى (١٩/٢٢٩-٢٣١).

(٢) المصدر السابق (١١/٤٩٠).

ب-الأدلة العقلية على حقيقة نعيم الجنة .

أولاً : دليل برهان القدرة:-

لما كانت قدرة الخالق العظيم غير متناهية، جاز تعلّقها بكلّ شيء مقدور، ومن ذلك كون نعيم الجنة محسوس، فهو غير خارج عن قدرة المولى تعالى كما قال عز من قائل: ﴿ إِنَّ اللهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة:١٠٩]، وقد أشارت الآيات القرآنية إلى عموم القدرة الإلهية وعدم تناهيها بصور عدة منها :

ما بيّنه تعالى من قدرته على المعاد في الآخرة مرتّباً على ذكر خلق السماوات والأرض، فقال سبحانه: ﴿ وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا * أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ ﴾[الإسراء:-٩٩-١٠٠]، وقال تعالى: ﴿ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ * إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ [يس:٨١-٨٢].

وقال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[الآحقاف:٣٣].

فالتأمل في خلق السماوات والأرض يقودنا إلى الإيمان بعالم الآخرة، وما فيه من نعيم حسي ومعنوي، ذلك لأنّ الذي خلق عوالم السماوات والأرض، بما فيها من سعة الخلقة البديعة وعجيب النظام العام المتضمّن لما لا يُحصى من الأنظمة الجزئية المدهشة للعقول والمحيرة للألباب، والعالم الإنساني جزء يسير منها، لا يعجزه ولا يخرج عن قدرته كون النعيم في الجنة حقيقي محسوس.

ثانياً : دليل الحكمة:-

إن الله تعالى حكيم في أفعاله، وكل ما يصدر منه جلّ وعلا في عالمي التكوين والتشريع يخضع لمبدأ الحكمة، فالمنظومة الكونية في نظامها العجيب، تسير بكل جزئياتها وفق حركة هادفة، وتتجه صوب نهاية مرسومة بدقة وإحكام، وكذلك تخضع المفردات التشريعية في وجودها وحركتها وتفاعلها إلى مبدأ الحكمة الإلهية والغاية الحكيمة التي تتجافى عن العبث واللغو والباطل، قال تعالى : ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾[المؤمنون:١١٥]، وقال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ

وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴾ [ص:٢٧]. وقال تعالى: ﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴾[القيامة:٣٦].

فلو كان الإنسان ينعدم بالموت، دون أن تكون هناك نشأة أُخرى للحساب والجزاء يعيش بعدها بما له من سعادة أو شقاء، فذلك يعني أنه ليس ثمّة غاية من خلقه غير هذه الحياة المحدودة التي تعجّ بالمتضادات، والمحفوفة بأنواع المصائب والبلايا والفتن والفجائع، ويعني أيضاً أن الله تعالى قد اقتصر في خلقه على الإيجاد ثم الاعدام، ثم الإيجاد ثم الاعدام، وهكذا دون أي هدف غائي في أفعاله سبحانه، وذلك ما لا نقبله على الإنسان العاقل، فكيف نقبله على فعل الخالق، جلّت حكمته، الذي لا يعتريه الباطل ولا يتجافى عن الحكمة ؟! تعالى الله عن ذلك عُلواً كبيراً.

وعليه فلا بد من وجود عالم آخر يتّضح فيه هدف الخلقة، وذلك هو عالم البقاء الأبدي المعبّر عنه بالحيوان، قال تعالى : ﴿ وَمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾[العنكبوت:٦٤].

ومن هنا أكدت الآيات القرآنية على أن وجود عالم الآخرة يقتضيه خلق العالم بحكمة، قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِم مَّا خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ﴾[الروم:٨].

وقال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ * مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الدخان:٤٤] .

ثالثاً : دليل العدالة :-

لا ريب أن الناس في الغالب لا يصلون إلى الثواب أو العقاب الملائم لأعمالهم في هذه الحياة؛ فالمحسنون الذين قضوا أعمارهم في العبادة ونشر الفضائل والإصلاح في الأرض، وتحمّلوا الكوارث والمحن والأرزاء في هذا السبيل ، وصبروا عما حرم الله عز وجل، لا يمكن لأي سلطة في الأرض أن تعطيهم مرادهم، وتوصلهم إلى ثوابهم، والمجرمون الذين ارتكبوا الجرائم الفظيعة بحقّ الإنسانية، وتوفّروا على النعم والملذّات والحياة الرغيدة أكثر من غيرهم ، قد لا يقعون في قبضة القانون، ويموتون ولم يقتص منهم، وإذا وقعوا فإن عقابهم لا يتناسب مع الجرائم التي ارتكبوها، فقد يقتص منهم مرة واحدة، وتبقىٰ أكثر الجرائم التي ارتكبوها تمرّ بلا عقاب، وعليه فليس ثمّة قوة في هذه النشأة المحدودة تستطيع استرداد جميع الحقوق المهضومة للناس.

وإذا كان الإنسان ينعدم بالموت، ويفد الظالمون والمظلومون والمصلحون والمفسدون إلى مقابر الفناء دون محكمة عادلة، تثيب المحسنين وتضع المجرمين في أشدّ العذاب، فإن ذلك خلاف العدل الإلهي الذي يقتضي التفريق بين الفريقين من حيث المصير والثواب والعقاب ، وبما أن ذلك غير متحقق في النشأة الأُولىٰ، فيجب أن يكون المعاد لتجسيد العدالة الإلهية تجسيداً عملياً ، وتحقيق الوعد الرباني الصادق، في الوفاء للأنبياء والأولياء والشهداء والأبرار من عباد الله الصالحين، بما وعدهم من الثواب والانتقام من الظالمين والمفسدين.

وقد صرحت الآيات الكريمة بهذا الدليل على مستويين :

الأول : التأكيد على الفرق بين العاصي والمطيع في النشأة الأُخرى، لتحقيق الثواب والعقاب، والوعد والوعيد ، وذلك مقتضى العدل الإلهي:-

قال تعالى : ﴿ إِلَيْه مَرْجِعُكُمْ جَميعًا وَعْدَ الله حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالحَات بِالْقسْط وَالَّذينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَميم وَعَذَابٌ أَليمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴾[المائدة:٤٨]، وقال تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ * وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ * وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّه وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴾[النجم:٥٣].

والثاني : التنديد بالتسوية بين المؤمنين وغيرهم في الجزاء وإنكارها:-

قال تعالى: ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمنًا كَمَن كَانَ فَاسقًا لَّا يَسْتَوُونَ ﴾[التوبة:١٩] ، وقال تعالى: ﴿ أَمْ نَجْعَلُ الَّذينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالحَات كَالْمُفْسدينَ في الْأَرْض أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقينَ كَالْفُجَّار ﴾[ص:٢٨]، وقال تعالى: ﴿ أَمْ حَسبَ الَّذينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَات أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالحَات سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ [الجاثية:٢١]. وقال تعالى: ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقينَ عندَ رَبِّهِمْ جَنَّات النَّعيم *أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلمينَ كَالْمُجْرِمينَ * مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾[القلم:٣٦] .

ومن هنا أكدت الآيات القرآنية على أن وجود عالم الآخرة يقتضيه العدل الإلهي(١).

وملخص هذه الأدلة يقرره ابن القيم بقوله: «فَرَبُ الدنيا والآخرة واحد، وهو الخالق للأسباب والحكم، ما يخلقه في الدنيا والآخرة والأسباب مظهر أفعاله وحكمته، ولكنها

(١) انظر: المعاد يوم القيامة، لعلي موسى الكعبي (٣٤-٤٤).

تختلف، ولهذا يقع التعجب من العبد لورود أفعاله سبحانه على أسباب غير الأسباب المعهودة المألوفة، وربما حمله ذلك على الأنكار والكفر، وذلك محض لجهل والظلم، وإلا فليست قدرته سبحانه وتعالى مقصرة عن أسباب أخر ومسببات ينشئها منها، كما لا تقصر قدرته في هذا العالم المشهود عن أسبابه ومسبباته، وليس هذا بأهون عليه من ذلك. ولعل النشأة الأولى التي أنشأها الرب سبحانه وتعالى فيها بالعيان والمشاهدة، أعجب من النشأة الثانية التي وعدنا بها إذا تأملها اللبيب، ولعل إخراج هذه الفواكه والثمار من بين هذه التربة الغليظة والماء والخشب والهواء المناسب لها أعجب عند العقل من إخراجها من بين تربة الجنة ومائها وهوائها. ولعل إخراج هذه الأشربة التي هي غذاء ودواء وشراب ولذة من بين فرث ودم ومن قيء ذباب، أعجب من إجرائها أنهارًا في الجنة، بأسباب أخر ولعل إخراج جوهري الذهب والفضة من عروق الحجارة من الجبال وغيرها أعجب من إنشائها هناك من أسباب أخر، ولعل إخراج الحرير من لعاب دودة القز وبنائها على أنفسها القباب البيض والحمر والصفر أحكم بناء، أعجب من إخراجه من أكمام تنشق عنه شجر هناك قد أودع فيها وأنشئ منها، ولعل جريان بحار الماء بين السماء والأرض على ظهور السحاب أعجب من جريانها في الجنة في غير أخدود. وبالجملة فتأمل آيات الله التي دعا عباده إلى التفكر فيها وجعلها آيات دالة على كمال قدرته وعلمه ومشيئته وحكمته وملكه ،وعلى توحده بالربوبية والإلهية، ثم وازن بينهما وبين ما أخبر به من أمر الآخرة والجنة والنار، تجد هذه أدلّ شيء على تلك شاهدة لهان، وتجدهما من مشكاة واحدة ورب واحد وخالق واحد ومالك واحد فبعدا لقوم لا يؤمنون»[1].

المطلب الثاني :عرض شبه منكري حقيقة نعيم الجنة والرد عليها.

إن من أنكر حقيقة نعيم الجنة، فإنه لا يخلو أن يكون إنكاره أما من جهة الشرع أو من جهة العقل.

فإن كان انكاره من جهة الشرع، فقد تقدم ذكر الأدلة من كتبهم على اثبات حقيقية نعيم الجنة. فإن احتج أحدهم بأن النص عندهم قد بيّن أنهم سيكونون كالملائكة، وهذا دليل صريح في انتفاء اللذات الجسمانية قلنا له ،ما أجاب به الشيخ رحمت الله الهندي بقوله: «وكون أهل الجنة كالملائكة في زعمهم لا ينافي الأكل والشرب على حكم كتبهم، ألا يرون أن الملائكة الثلاثة الذين ظهروا لإبراهيم، وأحضر لهم إبراهيم عليه السلام

(١) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح (١٩١-١٩٢).

عجلاً حنيذاً وسمناً ولبناً أكلوا هذه الأشياء كما صرح به في الباب الثامن عشر من سفر التكوين، وأن الملكين اللذين جاءا إلى لوط عليه السلام وصنع لهما وليمة وخبزاً فطيراً، أكلا كما صرح به في الباب التاسع عشر من سفر التكوين، والعجب أنهم لما اعترفوا بالحشر الجسماني فأي استبعاد في اللذات الجسمانية، نعم لو كانوا منكرين للحشر مطلقاً كمشركي العرب، أو كانوا منكرين للحشر الجسماني ومعترفين بالحشر الروحاني كاتباع أرسطو، لكان لاستبعادهم وجه بحسب الظاهر. وعندهم تجسد اللّه وما انفك عنه الأكل والشرب وسائر اللوازم الجسدانية باعتبار أنه إنسان»[1] .

أما إن كان انكاره من جهة العقل؛ فإن قال: من جهة العقل. قلنا له كذبت وأخطأت؛ فإن العقل لا يدل على استحالة ذلك بل يدل على جوازه، إذ ليس في ذلك إلا أن الذي خلقنا أول مرة، ومكننا أن نتنعم نعيما محسوساً، ونتألم ألماً محسوساً قادر على أن يعيدنا بعد أن يفنينا كما بدأنا.

فإن الإعادة إنما هي خلق ثان، ومن قدر على الخلق الأول قدر على الخلق الثاني، وهذا معلوم بنفسه فهو إذن فعل ممكن في نفسه ليس من قبيل الممتنع، والله تعالى قادر على كل ممكن فيجب وصفه بالقدرة على ذلك. فإن قالوا: إن كان في الجنة أكل وشراب ونكاح ولباس، فيلزم عليه أن يكون في الجنة غائط وبول وولادة وتمزيق الثياب وتخريقها، وكل ذلك محال أن يكون في الجنة. قلنا: هذا جهل، ولا يلزم شيء مما ذكرتم فيها، بل نقول هناك أكل وشرب، وليس هنالك غائط ولا بول، وهذا غير منكر إذ لا يلزم في كل طعام أن يكون له فضلة. ولو سلمنا أن تكون له فضلة لما لزم أن يكون فضلة مستقذرة، بل قد تكون فضلات كثيرة طيباً يتطيب به، وشراباً يشرب مثل المسك، فإنه دم حيوان أو رجيعه، أو العسل فإنه فضل حيوان معروف وليس شيء من ذلك مستقذراً، بل هو مستطاب مستلذ ولا يبعد أن تكون فضلات الجنة هكذا[2] .

فقد ظهر بذلك كله أن ما انتحلوه من إنكار النعيم المحسوس باطل بنصوص المنقول، وبشهادة العقول. وبذلك ثبت أن نعيم الجنة حسي حقيقي يقع على الأجساد كما يقع على الأرواح.

(١) إظهار الحق (٩٥/٢).

(٢) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن الإسلام، للقرطبي(٤٣٣-٤٣٤).

الخاتمة

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا، لنهتدي لولا أن هدانا الله، الحمد لله على كرمه وامتنانه، وحسن فضله، وجزيل إنعامه، الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، أحمده وأشكره على أن أعانني على إتمام هذا البحث، أحمده تعالى حمدًا كثيرًا طيبًا، يليق بجلال وجهه، وعظيم سلطانه، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد.

ففي نهاية هذا البحث الذي تناولت فيه حقيقة نعيم الجنة في الإسلام وعند أهل الأديان (اليهود والنصارى)،خرجت بالنتائج الآتية:

١) أن حقيقية نعيم الجنة وملذاتها من الأمور الغيبية، وإن كان هناك تشابه بينها وبين المسميات في الدنيا، إلا أنها تختلف اختلافاً كبيراً في حقيقتها، فهي من الأمور التي لا تدركها الحواس ولا العقول، فليس أمام الإنسان إلا التصديق بما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية من أخبار عن صفتها والتسليم بذلك.

٢) اتفاق أهل السنة والجماعة على أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن لا يشك في ذلك أحد منهم؛ لكثرة الأدلة الدالة على ذلك من الكتاب والسنة.

٣) أن الصحيح المعتمد في مكان الجنة أنها فوق السماء السابعة، وأعلاها الفردوس الأعلى، وسقفها عرش الرحمن .

٤) أن نعيم الآخرة يشمل الروح والجسد معاً، وهذا هو الأصل وعليه مذهب السلف والخلف، من الصحابة والتابعين، وكل العلماء في مختلف العصور والأمصار. وقد استفاضت الأدلة وتنادت وتعاضدت وأخذت بأعناق بعضها، فأثبتت ذلك؛ فالقرآن والسنة مليئان بالأدلة التي تبين أن نعيم الجنة يشمل الروح الجسد، والآيات التي تتحدث عن أكل أهل الجنة وشربهم وزواجهم ولبسهم وغيرها كثيرة جداً.

٥) أنه كما دلّ الشرع على حقيقة نعيم الجنة، فقد دلّ العقل على ذلك أيضاً ببراهين عدة؛ منها برهان القدرة، و الحكمة، والعدالة.

٦) أن ما أنكره اليهود والنصارى من حقيقية نعيم الجنة، إنما هو من عادتهم في الكذب والتضليل، ومن التحريف والتبديل، كيف لا وقد دلت بعض النصوص من كتبهم دلالة قاطعة على أن النعيم في الجنة واقع على الروح والجسد معا.

٧) أن من أنكر حقيقة نعيم الجنة، فإنه لا يخلو أن يكون إنكاره أما من جهة الشرع أو من جهة العقل، وقد بان بطلان شبهته من كلا الجهتين.

أخيرًا فإن هذا ما استطعت الوصول إليه، لا أدعي كماله، ولا أقر بأني أقفلت الباب بعدي في هذا الموضوع؛ لأنني أتممته، فليس هناك كتاب كامل سوى كتاب الله – عز وجل – فإن كان في هذا العمل شيء كامل، فهو بتوفيق الله، وما كان فيه من نقص أو عيب، فهو من نفسي والشيطان، واستغفر الله من ذلك.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير خلقه نبينا محمد، وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

المصادر والمراجع

- إظهار الحق. الهندي، رحمة الله بن خليل الرحمن الكيرواني العثماني. تحقيق: محمد أحمد عبد القادر خليل ملكاوي. (د. ط) (د. م)، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ١٤١٠ه.
- إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد. ابن الوزير، محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن المفضل الحسني القاسمي، أبو عبد الله، عز الدين اليمني (المتوفى: ٨٤٠هـ). ط٢، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٧م.
- البداية والنهاية. بن كثير، إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي. (د. ط)، بيروت، دار عالم الكتب، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.
- تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز (المتوفى: ٧٤٨هـ). تحقيق: بشار عوّاد معروف. ط١، (د. م)، دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠٣ م
- التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار، ابن رجب، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ). تحقيق: بشير محمد عيون. ط٢، الطائف، مكتبة المؤيد، ١٤٠٩ – ١٩٨٨.
- الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، المنذري، عبد العظيم بن عبد القوي أبو محمد. تحقيق: إبراهيم شمس الدين. ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٧.
- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ).تحقيق: محمد حسين شمس الدين. ط١،بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٩ هـ.
- تهافت التهافت، ابن رشد، أبو الوليد محمد (المتوفى سنة ٥٩٥ه). تحقيق: سليمان دنيا. ط١، (د. م) (د. ن) (د.ت).
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله (المتوفى: ١٣٧٦هـ).تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق،ط١،(د.م)، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ –٢٠٠٠ م.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر (المتوفى: ٣١٠هـ). تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي. ط١، (د. م)، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م.

- الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين (المتوفى: ٦٧١هـ). تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش. ط٢، القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م.
- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري، البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي. تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر. ط١ (د. م)، دار طوق النجاة،١٤٢٢هـ.
- حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ).(د. ط)، القاهرة، مطبعة المدني، (د. ط).
- الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، قوام السنة، اسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي الطليحي التيمي الأصبهاني، أبو القاسم (المتوفى: ٥٣٥هـ). تحقيق: محمد بن ربيع بن هادي عمير المدخلي. ط٢، الرياض، دار الراية، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
- روضة المحبين ونزهة المشتاقين، ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ). (د. ط)، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣ م.
- شرح العقيدة الطحاوية، البراك، عبد الرحمن بن ناصر بن براك بن إبراهيم. ط٢، (د. م)، دار التدمرية، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.
- صحيح الترغيب والترهيب، الألباني، محمد ناصر الدين، ط١، الرياض، مكتبة المَعارف للنشر والتوزيع، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.
- لسان العرب، ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ).ط٣، بيروت، دار صادر، ١٤١٤ هـ.
- لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، السفاريني، شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (المتوفى: ١١٨٨هـ).ط٢، دمشق ،مؤسسة الخافقين ومكتبتها، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م.
- الغاية –مباحث علمية ودراسات حديثية حول الجنة– ، العنزي، عدلان بن ساري.ط١، الرياض، دار القاسم للنشر، ١٤٢٦هـ–٢٠٠٥م.
- مجموع الفتاوى، ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ). تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم. (د. ط)، المدينة النبوية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول ﷺ، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ). تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. (د. ط)، بيروت دار إحياء التراث العربي، (د.ت).
- معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ).تحقيق: عبد السلام محمد هارون . (د. ط) (د. ن)، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- المعاد يوم القيامة، الكعبي، علي موسى. (د. ط) (د .ن)، دار الرسالة، (د.ت).
- مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ). ط٣، بيروت ، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠ هـ.
- المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ). تحقيق: صفوان عدنان الداودي. ط١، بيروت، دار القلم، ١٤١٢ هـ.
- الموطأ، مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (المتوفى: ١٧٩هـ). تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي.ط١، أبو ظبي، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.
- اليهودية، شلبي، أحمد. ط٨، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية ،١٩٨٨م.

المراجع الأجنبية:

١-الكتاب المقدس العهد القديم (التوراة) .

٢- العهد الجديد (الإنجيل) .

٣-قاموس الكتاب المقدس ،للدكتور بطرس عبد الملك ، والدكتور جون الكاندرطس ، والأستاذ إبراهيم مطر .

٤-فهرس الكتاب المقدس للدكتور جورج بوست من رابطة الكنائس.